الأزهر من النشأة إلى نهاية الدولة الفاطمية

(361-567هـ / 972-1171م)

Al-Azhar from its beginnings to the end of the Fatimid state

(361-567 AH / 972-1171 AD)

إعداد

أ.د. إبراهيم محمد علي مرجونة

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة دمنهور

د. أحمد خميس شتية

مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة دمنهور

أ.محمد محمود أحمد أبو الخير

باحث ماجستير بقسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الثاني و الستون - يناير -الجزء الثاني - *لسنة* 2024

الأزهر من النشأة إلى نهاية الدولة الفاطمية

(361-567هـ / 972-1171م)

أ.د. إبراهيم محمد علي مرجونة

د. أحمد خميس شتية

أ.محمد محمود أحمد أبو الخير

الملخص:

تناول الباحث في هذه الدراسة تاريخ الجامع الأزهر من النشأة إلى نهاية الدولة الفاطمية، وقد حاول الباحث التعرض لهذا الموضوع التاريخي دون تحيز أو تعصب، معتمدًا على المصادر الأصلية التي كانت قريبة من فترة الدراسة، معتمدًا على المنهج التاريخي القائم على السرد والنقد والوصف والتحليل للروايات التاريخية.

وقد شمل هذا البحث أربعة محاور رئيسة على النحو التالي:

أولًا: إنشاء الجامع الأزهر على يد القائد جوهر الصقلي قائد جيوش الفاطميين، متناولا سبب إنشائه، ووقت البدء في إنشائه والانتهاء منه، والمكان الذي بُني فيه، ووصف للجامع وقت البناء.

ثانيًا: تسمية الجامع في أيامه الأولى بـ "جامع القاهرة" نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أقيم فيها، ثم إطلاق اسم "الجامع الأزهر" أو "جامع الأزهر" عليه، وسبب هذه التسمية.

ثالثًا: اهتمام الخلفاء الفاطميين بالجامع الأزهر، ورعايتهم له، وإنفاقهم عليه، وإصلاحهم ما يحتاج من أجزائه إلى إصلاح وصيانة، وذكر أول وقفية رتبت له من قِبَل الخليفة الحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م)، وذلك في سنة (400هـ / 1009م).

رابعًا: دور الأزهر الديني في العصر الفاطمي، واستخدامه من قِبَل الفاطميين في ممارسة طقوسهم وشعائرهم الشيعية، والترويج لأفكار مذهبهم، ونشرها بين الناس.

Al-Azhar from its beginnings to the end of the Fatimid state (361-567 AH / 972-1171 AD)

Abstract

In this study, the researcher dealt with the history of Al-Azhar Mosque from its inception to the end of the Fatimid state. The researcher tried to address this historical topic without bias or fanaticism, relying on the original sources that were close to the period of the study, relying on the historical approach based on narration, criticism, description, and analysis of historical novels.

This research included four main axes as follows:

First: The establishment of the Al-Azhar Mosque by Commander Jawhar al-Siqilli, commander of the Fatimid armies, explaining the reason for its establishment, the time of its beginning and completion, the place in which it was built, and a description of the mosque at the time of construction.

Second: In its early days, naming the mosque "Cairo Mosque" in reference to the new capital in which it was established, then calling it "Al-Azhar Mosque," and the reason for this naming.

Third: The interest of the Fatimid Caliphs in Al-Azhar Mosque, their care for it, their spending on it, and their repair of its parts that needed repair and maintenance, and mention of the first endowment arranged for it by the Caliph Al-Hakim bi Amr Allah (386-411 AH / 996-1020 AD), in the year (400 AH / 1009 AD).

Fourth: The religious role of Al-Azhar in the Fatimid era, and its use by the Fatimids in practicing their Shiite rites and rituals, promoting the ideas of their doctrine, and spreading them among the people.

المقدمــة

كـان إنشـاء مسـجد جـامع فـي عاصـمة كـل إقلـيم يفتحـه المسـلمون أو فـي كـل بلـدة يهاجرون إليها تقليدا إسلاميا حرصوا عليه منذ صدر الإسلام، وقد أخذ المسلمون هذا الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لما هاجر من مكة إلى المدينة وشرع في تأسيس الدولة الإسلامية فيها رأى أن يكون أول ما يبدأ به هو أن يبني مسجدا للمسلمين يقيمون فيه شعائرهم الدينية، ويبحثون فيه شؤونهم العامة، فقام ببناء مسجده الشريف.

وتمشيا مع التقاليد الإسلامية هذه، وتأكيدا للانتصار الديني المذهبي الذي أحرزته الدولة الفاطمية بعد دخولها مصر، شيد القائد جوهر الصقلي مسجدا جامعا كبيرا كي يكون الجامع الرسمي للعاصمة الجديدة "القاهرة" التي كان قد بدأ في بنائها منذ سنة سابقة، ولكي يكون أيضا مصلى للخليفة وجنوده، ومركزًا لنشر الدعوة الفاطمية الشيعية وذلك حتى لا يفاجأ السنيين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الشيعي الفاطمي فيثير هذا الأمر غضبهم.

أهمية الدراسة:

التعرف على تاريخ الجامع الأزهر منذ نشأته وحتى نهاية العصر الفاطمي، والوقوف على دوره المهم والبارز وهو في طوره الشيعي، ومدى القوة التي كان يتمتع بها خلال تلك الفترة؛ كونه الجامع الرسمي للدولة الفاطمية.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختيار الموضوع إلى أن الجامع الأزهر ظل طوال العصر الفاطمي موضع تقدير الخلفاء الفاطميين وعنايتهم، يتعهدونه بالتجديد والإصلاح عرفانا منهم بأهميته وإيمانا بقدره ومكانته، فكان لابد من الحديث عن هذه الفترة من تاريخ الجامع، وإزالة الغموض عنها.

إلقاء الضوء على سبب إنشاء الجامع الأزهر، وتسميته، والأدوار التي تمتع بها خلال العصر الفاطمي.

كان للجامع الأزهر أدوارا مهمة خلال العصر الفاطمي، سياسية، وإدارية، واجتماعية، لكن كان أهم هذه الأدوار هو الدور الديني، فقد كان الأزهر هو الجامع الرسمي للدولة الفاطمية ينشرون من خلاله عقائدهم وأفكارهم، ويمارسون فيه طقوسهم ومعتقداتهم، فكان لابد من إلقاء الضوء على هذه النقطة.

أولًا: إنشاء الجامع الأزهر:

بدأ العمل في بناء الجامع يوم السبت الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة 359هـ / 7 من مايو 970م، وتم بناؤه في السابع من رمضان سنة 361هـ / 23 من يونيو 972م. وبذلك يكون بناؤه قد استغرق سنتين وثلاثة أشهر، وأقيمت صلاة الجمعة فيه رسميًا لأول مرة في ذات اليوم، فكان أول مسجد جامع وضع للناس في مدينة القاهرة[1].

ومازال الجامع الأزهر يشغل نفس المكان الذي أقيم فيه منذ أكثر من ألف سنة، وإن كان قد ألحقت به منشآت جديدة زادت في مساحته الأولى، فمساحته عند انتهاء حكم الدولة الفاطمية كانت ثلاثة عشر ألف ذراع، وأصبحت اليوم ستة وعشرين ألفا وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراع، أي ما يعادل اثني عشر ألف متر مربع، ومعنى ذلك أن مساحة الجامع في الوقت الحاضر قد تجاوزت ضعف مساحته وقت إنشائه، فالجامع الذي نراه اليوم ليس هو الجامع الفاطمي وحده الذي وضع أساسه جوهر الصقلي، بل هو بقية من المنشآت والنقوش الفاطمية الأولى والتي مازالت تحتل ذات المكان الذي أقيمت فيه عند إنشاء المسجد وهى تكاد تبلغ نصف مساحته الحالية، ضمت إليها مجموعة من الآثار في أزمنة مختلفة حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها الآن[2].

بُني الجامع الأزهر في الجنوب الشرقي للعاصمة الفاطمية الجديدة "القاهرة"، على مقربة من "القصر الشرقي الكبير" الذي كان موجودا يومذاك بين "حي الديلم" و "حي الترك" في الجنوب، وقد جعل جوهر أمام الجامع رحبة فسيحة جدا، وكان الخلفاء الفاطميون حين يذهبون إلى الجامع للصلاة بالناس يترجل الجنود ويصطفون في هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة الجامع، وقد بقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية ثم استعمرها الناس حتى لم يبق لها أثر[3].

---

(1) المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، ت: 845هـ / 1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، ص 51، 52؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ / 1505م): **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ج 2، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1387هـ، 1967م، ص 251؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م، ص 27.

(2) محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي مع تكملة له حتى العصر الحاضر**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـ، 1942م، ص 22؛ سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج 1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، د ت، ص 194؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 27.

(3) علي مبارك: **الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة المعروف بالخطط التوفيقية الجديدة**، ج 2، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1304هـ، ص 90؛ سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج 1، ص 165.

ويعتبر الجامع الأزهر أول عمل معماري أقامه الفاطميون في مصر لا يزال قائما حتى اليوم، وكان يشمل وقت إنشائه مكانا مسقوفا يسمى "مقصورة" ومكانا آخر غير مسقوف يسمى "صحنا"، بالإضافة إلى الملحقات التي تتبع المساجد عادة، وقد بنى جوهر مقصورة كبيرة بها ستة وسبعون عمودا من الرخام الأبيض في صفوف متوازية وعليها قواصير مرتفعة، كما بني قوصرة بين كل عمودين، ودكة كبيرة يصلى عليها المبلغون، كما أنشأ جوهر محرابا بالمقصورة التي بناها ويسمى "القبلة القديمة"، أما صحن الجامع فكان مكانا متسعا غير مسقوف ومرصوفا بالحجر تقام فيه الصلاة عند ازدحام المقصورة، كما أنشأ له عند تأسيسه منارة واحدة، وقد كتبت في الجامع الأزهر عند إنشائه جملة تذكارية بالخط الكوفي، وذلك بدائر القبة التي في الرواق الأول إلى يمين المحراب والمنبر وهذا نصها: "... بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي، وذلك في سنة ستين وثلاثمائة ..."، وقد اندثر هذا النقش[4].

ثانيا: تسمية الجامع:

عُرف الجامع الأزهر منذ إنشائه بـ "جامع القاهرة" نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أقيم فيها، وبقيت هذه التسمية غالبة عليه لسنوات طويلة، ويدل على ذلك أن غالبية مؤرخي مصر الفاطمية وعلى رأسهم عز الملك المسبحي (366-420هـ / 977-1029م)، وابن الطوير (524-617هـ / 1130-1220م)، وابن المأمون (...-588هـ / ...-1192م) كانوا يذكرونه باسم "جامع القاهرة"، وقلما كانوا يذكرونه باسم "الجامع الأزهر"، وحتى في العصور المتأخرة وتحديدًا في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي نرى أن المقريزي (766-845هـ / 1365-1441م) وهو أكبر مؤرخي مصر الإسلامية وزعيمهم دون منازع كان يُطلق عليه حينًا "جامع القاهرة"، وحينًا آخر "الجامع الأزهر"، ومعنى هذا أن الأزهر ظل يتنازعه هذان الاسمان لسنوات طويلة، ثم توارى الاسم القديم وغلب عليه

(4) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 52؛ عبد الرحمن زكي: **القاهرة تاريخها وآثارها**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1386هـ، 1966م، ص 17؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 28؛ إبراهيم محمد علي مرجونة: **تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، د ت، ص 109.

الاسم الجديد وهو "الجامع الأزهر" أو "جامع الأزهر"، ولحقت به هذه التسمية إلى وقتنا الحاضر، وغدا من أشهر المنشآت والأعلام الإسلامية على وجه الأرض[5].

ولإطلاق اسم "الأزهر" عليه أسباب، منها: أن لفظة "الأزهر" مشتقة من "الزهراء" لقب السيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجة على بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي كانت الدولة الفاطمية تنسب إليها وتسمى باسمها، ومنها: أن إطلاق اسم "الأزهر" يرجع إلى ظاهرة اجتماعية وإسكانية تتصل بتخطيط القاهرة، فالجامع كانت تحيط به قصورا فاطمية بلغت حد الروعة في بنائها وتنسيقها حتى سميت وقتها "القصور الزاهرة"، ومن ثم أطلق على المسجد اسم "الأزهر"، ومنها: أن إطلاق اسم "الأزهر" كان من قبيل التفاؤل بما سيبلغه هذا المسجد بازدهار العلوم فيه، وأنه سيظل على مر الأيام مركز إشعاع للدعوة الشيعية[6].

ثالثا: اهتمام الخلفاء الفاطميين بالجامع الأزهر ورعايتهم له:

كان الجامع الأزهر موضع اهتمام الخلفاء الفاطميين جميعًا ورعايتهم فقاموا بتجديده وعمارته غير مرة، وكان كل خليفة منهم يتولى الحكم يعمل على تزيينه والزيادة فيه، وأول من قام بذلك هو الخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله (365–386هـ / 975–996م) فلم تمض أربع سنوات على إنشائه حتى أمر بإصلاح ما كان من عمارته يحتاج الإصلاح والتجديد[7].

ثم جدده ولده الحاكم بأمر الله (386–411هـ / 996–1020م) وزوده بتنورين وسبعة وعشرين قنديلا من فضة، وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعاد إلى مكان جرت العادة أن تحفظ به، كما جدد مئذنته، وأوقف له في سنة (400هـ / 1009م) مع بعض المنشآت

---

(5) محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 19، 20، 22؛ عبد الرحمن زكي: **القاهرة تاريخها وآثارها**، ص 17؛ جمال الدين الشيال: **تاريخ مصر الإسلامية**، ج 1، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1386هـ، 1966م، ص 147؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 28، 29.

(6) محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 20؛ عبد الرحمن زكي: **القاهرة تاريخها وآثارها**، ص 17؛ جمال الشيال: **تاريخ مصر الإسلامية**، ج 1، ص 148؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 29، 30؛ أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت، ص 256؛ إبراهيم مرجونة: **تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها**، ص 109.

(7) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 52؛ علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة**، ج 4، ص 10؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 25؛ جمال الشيال: **تاريخ مصر الإسلامية**، ج 1، ص 148؛ أحمد فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**، ج 1، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 2008م، ص 41.

الفاطمية الأخرى أوقافا ينفق من ريعها على إدارته وشؤونه، فكانت أول وقفية رتبت للجامع الأزهر[8].

وكذلك قام الخليفة المستنصر بالله أثناء خلافته (427-487هـ / 1035-1094م) ببعض أعمال التجديد للجامع، ومن الخلفاء الذين قاموا بعمارات كبيرة في الأزهر الخليفة الآمر بأحكام الله (495-524هـ / 1100-1130م) فقد أضاف إلى المسجد محرابًا خشبيًا صنع من خشب قرو تركي، والحشوات من خشب النبق، وزخرف المحراب بنقوش نباتية وهندسية غاية في الدقة والإبداع، وعلى جانبي تجويف المحراب عمودان رشيقان، ويعلوه لوح نقش فيه بالخط الكوفي، والمحراب محفوظ بمتحف الفن الإسلامي[9].

كما جدد الخليفة الحافظ لدين الله (525-544هـ / 1130-1149م) في الجامع الأزهر تجديدات كبيرة، تعد هذه التجديدات أول عمارة غيرت من معالم الجامع الأصلي، فقد بقي الجامع على حالته الأولى حتى قرر الحافظ أن يزيد في مساحته فلم يجد متسعا سوى الصحن فأضاف إليه رواقا يحيط به من جوانبه الأربعة، وأقام قبة على رأس المجاز، وهى التي ما تزال قائمة حتى الآن، وأنشأ فيه بجوار الباب الغربي الذي في مقدم الجامع مقصورة لطيفة عرفت بـ "مقصورة فاطمة الزهراء"، وأجرى فيه أعمالا هامة أضافت إليه عناصر جديدة في التخطيط والعمارة والزخرفة[10].

نخلص من ذلك إلى أن الجامع الأزهر ظل طوال العصر الفاطمي موضع تقدير الخلفاء الفاطميين وعنايتهم، يتعهدونه بالتجديد والإصلاح عرفانا منهم بأهميته وإيمانا بقدره ومكانته.

رابعًا: دور الأزهر الديني في العصر الفاطمي:

---

(8) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 52 – 54؛ السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ج 2، ص 251؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 25؛ عبد الرحمن زكي: **القاهرة تاريخها وآثارها**، ص 51؛ سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج 1، ص 197، 198؛ أحمد فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**، ج 1، ص 41.

(9) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 54؛ علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة**، ج 4، ص 11؛ حسن عبد الوهاب: **تاريخ المساجد الأثرية**، ج 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1946م، ص 50؛ سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج 1، ص 198؛ أحمد فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**، ج 1، ص 42.

(10) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 54؛ السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ج 2، ص 251؛ علي مبارك: **الخطط التوفيقية الجديدة**، ج 4، ص 11؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 25؛ سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج 1، ص 198، 199؛ أحمد فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**، ج 1، ص 42.

كان للجامع الأزهر أدوارا مهمة في عصر الدولة الفاطمية، منها: دوره الديني، فالدولة الفاطمية كانت دولة شيعية تنتسب تحديدا إلى طائفة الإمامية الإسماعيلية[11]، وقد استغلت الأزهر منذ إنشائه لترويج أفكار مذهبها الدينية، فبعد أن استولى جوهر على الفسطاط بأيام قليلة أقيمت الصلاة بجامع عمرو بن العاص وخطب فيه للخليفة الفاطمي وذلك في 19 شعبان (358هـ)، وبعد حوالي ثمانية أشهر وتحديدا في يوم الجمعة 28 ربيع الآخر (359هـ) صلى القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون ورفع الأذان فيه بعد أن أدخل عليه "حي على خير العمل" وهو أول ما أذن به بمصر[12]. ولعل اختيار الفاطميين لمسجد ابن طولون بالذات لإقامة شعائرهم الدينية فيه راجع إلى أن هذا المسجد كان مقرا للجالية المغربية في مصر يسكنون ويدرسون فيه منذ أيام مؤسسه أحمد بن طولون[13].

ثم رأى جوهر ضرورة إنشاء مسجد خاص لإقامة شعائر المذهب الإسماعيلي فيه فبنى الجامع الأزهر، ولما فرغ من بنائه وأقيمت صلاة الجمعة فيه بصفة رسمية كان من الطبيعي أن يؤدي المؤذنون الأذان فيه طبقا لمذهب الفاطميين، ثم عم الأذان الفاطمي بعد ذلك جميع المساجد الأخرى تباعا[14].

وفي عهد الحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م) وتحديدا في سنة (400هـ) صدرت الأوامر إلى مؤذني القصر ومؤذني الجامع الأزهر وسائر الجوامع بأن يستبدلوا قولهم "حي على غير العمل" في أذان صلاة الفجر بقولهم "الصلاة خير من النوم"، وأن يختموا بقولهم "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله"، وفي سنة (401هـ) صدرت الأوامر بالعودة إلى النداء بـ "حي على خير العمل"، ثم في سنة (405هـ) صدرت الأوامر مرة أخرى إلى مؤذني القصر ومؤذني الجامع الأزهر بأن يستبدلوا قولهم بعد الأذان "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله" بقول "الصلاة رحمك الله"، ثم أعيد "السلام على

---

(11) الشيعة: هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده. وقد انقسمت الشيعة إلى عدة فرق، وكان أشهر هذه الفرق فرقة الإمامية التي انقسمت بدورها إلى طائفتين: طائفة الإمامية الاثنا عشرية، وطائفة الإمامية الإسماعيلية التي نسبت إليها الدولة الفاطمية التي قامت في المغرب ومصر. للمزيد راجع: الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، ت: 548هـ / 1153م): **الملل والنحل**، ج 1، مؤسسة الحلبي، د ت، ص 146 وما بعدها؛ إبراهيم مرجونة: **تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها**، ص 80.

(12) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 47؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 103؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 35؛ أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، ص 255؛ إبراهيم مرجونة: **تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها**، ص 109.

(13) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، ت: 614هـ / 1217م): **رحلة ابن جبير**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ت، ص 26، 27.

(14) عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 35؛ إبراهيم مرجونة: **تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها**، ص 109.

أمير المؤمنين ورحمة الله" بعد أذان صلاة الفجر مرة أخرى، ولم تقف التعديلات التي أدخلها الفاطميون على أذان الصلاة عند هذا الحد بل كان الأذان يتضمن بعض العبارات ذات الطابع المذهبي المحض كقولهم "محمد وعلي خير البشر"، وظل الأذان الفاطمي معمولا به حتى سقطت الدولة الفاطمية(15).

ويتصل بموضوع الأذان الفاطمي **الدعاء الشيعي**، فمنذ اليوم الأول الذي افتتح فيه الجامع الأزهر للصلاة أدخل في خطب الجمع والأعياد هذا الدعاء الشيعي، وكان على النحو التالي: "اللهم صل على محمد النبي المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، اللهم صل على الأئمة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين"، فكان الأزهر أول مسجد جامع في مصر ألقي فيه هذا الدعاء الشيعي منذ اليوم الأول لافتتاحه(16).

ومن الأدوار الدينية البارزة للجامع الأزهر أنه كان **مركزا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف**، ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وتحديدا بعد العصر كان قاضي القضاة يخرج ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر في موكب رسمي حافل، ويشترك فيه أيضا الموظفون المكلفون بتوزيع صواني الحلوى التي تكون قد أعدت من قبل لهذه المناسبة في مطابخ قصر الخليفة لتوزع على أرباب الرسوم كقاضي القضاة وداعي الدعاة وقراء الحضرة والخطباء والشعراء والمتصدرين بالجوامع وغيرهم ممن له اسم ثابت بالديوان(17).

ثم يجلس الجميع في مقصورة الجامع الأزهر مقدار قراءة الختمة الكريمة، حتى إذا انتهى القراء من تلاوة الختمة الكريمة عادوا في موكبهم إلى القصر، وينتظرون تحت المنظرة التي يجلس فيها الخليفة، وهم في حالة من السكون والترقب، ثم تفتح إحدى طاقات المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة، ثم يخرج أحد الأساتذة المحنكين يده ويشير بكمه إشارة معناها أن الخليفة يرد عليكم السلام، ثم يقرأ القراء ما يتيسر من آيات القرآن الكريم، ثم

---

(15) المقريزي: **الخطط**، ج 4، ص 47، 48؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 103، 104؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 35.

(16) المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ج 1، تحقيق: الجزء: 1 جمال الدين الشيال، والجزء: 2 و3 محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1416هـ، 1996م، ص 117؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 36.

(17) القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ت: 821هـ / 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص 576؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 105؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 43.

يخطب الخطباء، كل ذلك بترتيب معلوم، فإذا انتهى الحفل أخرج الأستاذ المحنك يده مشيرا برد السلام كما تقدم، ثم تغلق الطاقات وينصرف الناس إلى بيوتهم[18].

ومن الأدوار الدينية البارزة للجامع الأزهر كذلك أن **الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء** كان يقام فيه قبل بناء المشهد الحسيني سنة (549هـ / 1154م)، وكان الفاطميون يطلقون على هذا اليوم مأتم عاشوراء، ويعد هذا الحفل من أغرب المظاهر المذهبية التي رتبتها الدولة الفاطمية لإحياء ذكرى الحسين بن علي، فمنذ الصباح الباكر من اليوم العاشر من شهر المحرم كانت مظاهر الحزن تعم القاهرة، وتغلق المحلات التجارية، وتعطل الأسواق، وتخلو من روادها، وتقف الحياة الاقتصادية، ويحتجب الخليفة. وفي الضحى تنظم الدولة موكبا رسميا يسير في مقدمته قاضي القضاة والشهود وقد ارتدوا جميعا ملابس الحداد، ويذهبون إلى الجامع الأزهر حيث يعقد في مقصورته مجلس يضم الأمراء والعلماء وقراء الحضرة والأعيان، ثم يأتي الوزير ويتبوأ صدر المجلس ويجلس إلى جانبه قاضي القضاة وداعي الدعاة، ويشرع القراء في تلاوة القرآن الكريم، فإذا فرغوا من التلاوة أنشد جماعة من الشعراء شعرا في رثاء الحسن والحسين وآل البيت، ويضج الحضور بالبكاء والعويل، ثم ينصرف الوزير إلى داره[19].

ثم يستدعى القوم إلى القصر الكبير الشرقي وتكون أرضه قد رفعت منها البسط وغطيت بالحصر، فيجدون صاحب الباب في انتظارهم، فيجلس قاضي القضاة وداعي الدعاة إلى جانب صاحب الباب ومن حولهم سائر المدعوين على اختلاف مراتبهم، ثم يقرأ القراء وينشد المنشدون كما فعلوا في الجامع الأزهر، فإذا فرغوا من ذلك كله يمد في القاعة سماط الحزن عند الظهر وليس فيه سوى العدس والألبان والأجبان وعسل النحل والملوحات والمخللات والخبز الأسود المصنوع عمدا بطريقة معينة لكى يأخذ اللون الأسود، ويحضره الخليفة ملثما وفي ثياب قاتمة، ويشهده الأمراء وكبار رجال الدولة حفاة ملثمين إشعارا بحزنهم العميق، ويدخل من شاء لتناول الطعام، فإذا انتهى القوم انصرفوا إلى دورهم ركبانا بذلك الزي الذي ظهروا فيه، وطاف النواح بالقاهرة في ذلك اليوم، وكان الناس يعتكفون في

---

(18) القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج 3، ص 576؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 105، 106؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 44.

(19) المقريزي: **الخطط**، ج 2، ص 329 – 331؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 106؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 45.

دورهم حتى صلاة العصر، ثم تفتح الأسواق وتسترد العاصمة شيئا من نشاطها الاقتصادي ومظهرها العادي[20].

أيضا من الأدوار الدينية البارزة للجامع الأزهر **إحياء ليالي الوقود الأربع**، وهي: ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، فقد كانت هذه الليالي من المناسبات العامة التي يتبوأ فيها الجامع الأزهر مكانة خاصة، حيث يخرج الناس إليه من كل فج ويبدو فيها كأنه شعلة من النور، وتضاء في جوانبه وعلى حافاته المشاعل والتنانير الساطعة، ويعقد في صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء برئاسة قاضي القضاة، ويبعث الخليفة إليهم بسلال من الأطعمة والحلوى الفاخرة، وتضاء جميع المساجد الأخرى وتبدو العاصمة الفاطمية كلها في حلل بديعة من الأنوار الساطعة[21].

وكانت الدولة الفاطمية تقيم احتفالات رائعة في هذه الليالي، وكان الاحتفال يبدأ بموكب رسمي يتحرك بعد غروب الشمس من دار قاضي القضاة الذي يكون في مقدمة الموكب راكبا جوادا ويحيط به ثلاثة من ممثلي الخليفة وعشرة من الحجاب والقراء، ويشق الموكب طريقه في الشوارع الرئيسية وكلما مر بالمساجد يقف مؤذنوها في المنارات يحمدون الله ويدعون للخليفة، وكان الشهود يركبون الجياد أيضا وبأيديهم الشموع المضاءة ويحيطون بقاضي القضاة حرسا له، ثم ينتظم الموكب في ميدان بين القصرين، وينتظرون هنالك حتى يطل عليهم الخليفة ويحييهم من إحدى طاقات المنظرة الخلافية، ثم يذهب الخليفة مساء إلى منظرة الجامع الأزهر ويجلس فيها ومعه حرمه، وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الفخمة التي كانت تقام في تلك الليالي وتستمر إلى نصف الليل[22].

مما تقدم نرى أن الجامع الأزهر منذ نشأته وحتى نهاية الدولة الفاطمية (361-567هـ / 972-1171م) والتي استمر حكمها لمصر أكثر من قرنين من الزمان؛ كان له خلال تلك الفترة دورا دينيا بارزا ومهما، فقد مارس فيه الفاطميون طقوسهم ومعتقداتهم، وأصبح دليلا على سيادتهم الدينية.

---

(20) ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف الظاهري الحنفي، ت: 874هـ / 1470م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج 5، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د ت، ص 153، 154؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 106، 107؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 45، 46.

(21) القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج 3، ص 574 – 576؛ المقريزي: **الخطط**، ج 2، ص 392 – 396؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 107 – 109؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 44، 45.

(22) المقريزي: **الخطط**، ج 2، ص 392 – 396؛ محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 107 – 109؛ عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، ج 1، ص 44، 45.

الخاتمــة

وفى الختام توصلت الدراسة إلى عدة نتائج:

- شيد القائد جوهر الصقلي الجامع الأزهر ليكون الجامع الرسمي للقاهرة – عاصمة الفاطميين الجديدة – وذلك تأكيدا للانتصار الديني المذهبي الذي أحرزته الدولة الفاطمية بعد دخولها مصر، وتمشيا مع التقاليد الإسلامية.
- بالإضافة إلى الصفة الدينية الرسمية التي كانت للجامع الأزهر في العصر الفاطمي، مثله مثل باقي المساجد الجامعة الأخرى، كان له أدوارا أخرى مهمة، سياسية، وإدارية، واجتماعية، لكن يبقى الدور الديني الذي لعبه خلال العصر الفاطمي هو أهم أدواره.
- حكم الفاطميون مصر زهاء قرنين من الزمان (361–567هـ / 972–1171م) ظل الأزهر خلالها موضع تقدير الخلفاء وعنايتهم، يتعهدونه بالتجديد والإصلاح، عرفانا منهم بأهمية دوره الديني والمذهبي في تلك المرحلة الجديدة من مراحل تطور الدعوة الفاطمية، والتي انتقلت منذ إعلان الخلافة في المغرب من طور الدعوة السرية إلى طور الدعوة (الدولة) التي تملك أسباب القوة والسيادة، وعرفانا كذلك بباقي أدواره المهمة.
- الجامع الأزهر منذ نشأته وحتى نهاية الدولة الفاطمية (361–567هـ / 972–1171م) والتي استمر حكمها لمصر أكثر من قرنين من الزمان؛ كان له خلال تلك الفترة دورا دينيا بارزا ومهما، فقد مارس فيه الفاطميون طقوسهم ومعتقداتهم، وأصبح دليلا على سيادتهم الدينية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف الظاهري الحنفي، ت: 874هـ / 1470م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د ت.
2. ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، ت: 614هـ / 1217م): **رحلة ابن جبير**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ت.
3. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ / 1505م): **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1387هـ، 1967م.
4. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت: 548هـ / 1153م): **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، د ت.
5. القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ت: 821هـ / 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.
6. المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين، ت: 845هـ / 1441م): **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: الجزء: 1 جمال الدين الشيال، والجزء: 2 و3 محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1416هـ، 1996م.
7. ــــــــــــ: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ.
8. إبراهيم محمد علي مرجونة: **تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، د ت.
9. أحمد فكري: **مساجد القاهرة ومدارسها**، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 2008م.
10. أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت.
11. جمال الدين الشيال: **تاريخ مصر الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1386هـ، 1966م.
12. حسن عبد الوهاب: **تاريخ المساجد الأثرية**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1946م.
13. سعاد ماهر محمد: **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، د ت.

14.عبد الرحمن زكي: **القاهرة تاريخها وآثارها**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1386هـ، 1966م.

15.عبد العزيز الشناوي: **الأزهر جامعًا وجامعة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م.

16.علي مبارك: **الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة المعروف بالخطط التوفيقية الجديدة**، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1304هـ.

17.محمد عبد الله عنان: **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي مع تكملة له حتى العصر الحاضر**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـ، 1942م.